الملك الصالح

وشوه في الغدير

تأليف
العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني

فهرس المطالب

- الملك الصالح
- الشاعر
- كلمات حول المترجم
- ولادته ووفاته مدايحه وميراثيه
- نماذج من شعر الملك الصالح
- الملك العادل

الملك الصالح

ولد 495

استشهد 556

(1)

سقى الحمى ومحلا كنت أعهده * حيا بحور بصوب المزن أجوده

فإن دنى الغيث واستسقت ربوعه * ربا فدمعي بالتسكاب ينحده

ويقول فيها:

ياراكب الغي دع عنك الضلال * فهذا الرشد بالكوفة الغراء مشهده

من ردت الشمس من بعد المغيب له * فأدرك الفضل والأملاك تشهده

ويوم (خم) وقد قال النبي له * بين الحضور وشالت عضده يده

: من كنت مولى هذا يكون له * مولى أتاني به أمر يؤكده

من كان يخذله فالله يخذله * أو كان يعضده فالله يعضده

والباب لما دحاه وهو في سغب * من الصيام وما يخفى تعبده

وقلقل الحصن فارتاع اليهود له * وكان أكثرهم عمدا يفنده

نادى بأعلى السما جبريل ممتدحا *: هذا الوصي وهذا الطهر أحمده

وفي الفرات حديث إذ طغى فأتى * كل إليه لخوف الهلك يقصده

فقال للماء: غض طوعا فبان لهم * حصباؤه حين وافاه يهدده [1]

(2)

م – وله من قصيدة توجد منها 57 بيتا يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام:

(1) القصيدة 39 بيتا يوجد شطر منها في مناقب ابن شهر آشوب، والصراط المستقيم للبياضي، وذكرها برمتها العلامة السيد أحمد العطار في كتابه (الرائق).

وفي مواقف لا يحصى لها عددا * ما كان فيها وعديدولا نكل

كم كربة لأخيه المصطفى فرجت * به وكان رهين الحادث الجلل؟!

كم بين من كان قد سن الهروب ومن * في الحرب إن زالت الأجبال لم يزل؟!

في هل أتى بين الرحمن رتبته * في جوده فتمسك يا أخي بهل

علي قال. اسألوني كي أبين لكم علمي وغير علي ذاك لم يقل

بل قال: لست بخير إذ وليتكم * فقوموني فإني غير معتدل

إن كان قد أنكر الحساد رتبته * فقد أقر له بالحق كل ولي

وفي (الغدير) له الفضل الشهير بما * نص النبي له في مجمع حفل

(3)

قال من قصيدة ذات 44 بيتا أولها:

لا تبك للجوة السلزين في الظعن *ولا تعوج على الأطلال والدمن

فليس بعد مشيب الرأس من غزل *ولا حنين إلى إلف ولا سكن

وتب إلى الله واستشفع بخيرته * من خلقه ذي الأيادي البيض والمنن

(محمد) خاتم الرسل الذي سبقت * به بشارة قس وابن ذي يزن

يقول فيها:

فاجعله ذخرك في الدارين معتصما * له وبالمرتضى الهادي أبي الحسن

وصيه ومواسيه وناصره على * أعاديه من قيس ومن يمن

أوصى النبي إليه لا إلى أحد * سواه في (خم) والأصحاب في علن

فقال: هذا وصيي والخليفة من * بعدي وذو العلم بالمفروض والسنن

قالوا: سمعنا فلما أن قضى غدروا * والطهر (أحمد) ما واروه في الجبن

(4)

وله من قصيدة 27 بيتا:

أنا من شيعة الإمام علي * حرب أعدائه وسلم الولي

أنا من شيعة الإمام الذي ما * مال في عمره لفعل دني

أنا عبد لصاحب الحوض ساقي * من توالى فيه بكأس روي

أنا عبد لمن أبان لنا المشكل * فارتاض كل صعب أبي

والذي كبرت ملائكة الله له * عند صرعة العامري

الإمام الذي تخره الله * بلا مرية أخا للنبي

قسما ما وقاه بالنفس لما بات في الفرش عنه غير علي

ولعمري إذ حل في يوم (خم) * لم يكن موصيا لغير الوصي

(5)

وله من قصيدة ذات 41 بيتا مطلعها:

ما كان أول تائه بجماله * بدر منال البدر دون مناله

متباين فالعدل من أفعاله * ليغرنا والجور من أفعاله

صرع الفؤاد بسحر طرف فاتر * حتى دنى فأصابه بنباله

متعود للرمي حاجبه غدا * من قسيه واللحظ بعض نصاله

ما بلبل الأصداغ فوق عذاره * إلا انطوى قلبي على بلباله 5

يبغي مغالطة العيون بها لكي * يخفى عقاربه مدب ضلاله

ويظل من ثقل الضلالة تشتكي * ما يشتكيه القلب من أغلاله

جعل السهاد رقيب عيني في الدجا * كي لا ترى في النوم طيف خياله

وحفظت في يدي اليمين وداده * جهدي وضيع مهجتي بشماله

وأباح حسادي موارد سمعه * وحميت ورد السمع عن عذاله 10

أغراه تأنيسي له بنفاره عنى * وإذلالي بفرط دلاله

ولربما عاتبته فيقول لي: قولي * يكذبه بفتح فعاله

كمعاشر أخذ النبي عهودهم * واستحسنوا الغدر الصراح بآله

خانوه في أمواله وزروا على * أفعاله وعصوه في أقواله

هذا (أمير المؤمنين) ولم يكن * في عصره من حاز مثل خصاله

العلم عند مقاله والجود حين نواله والبأس يوم نزاله

وأخوه من دون الورى وأمينه * قدما على المخفي من أحواله

وصاهم ولاية فكأنما * وصاهم بخلافه وقتاله

واستنقصوا الدين الحنيف بكتمهم * يوم (الغدير) وكان يوم كماله]

أخذنا هذه القصائد من كتاب (الوائق) لسيدنا العلامة السيد أحمد العطار و قد ذكر فيه شطرا مهما من شعر الملك الصالح في العترة الطاهرة ولعله جل ما فيهم]

* (الشاعر) *

أبو الغزات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين طلايع بن رزيك بن الصالح الأرمني [1] أصله من الشيعة الإمامية في العراق كما في [أعلام الزركلي].

هو من أقوام جمع الله سبحانه لهم الدنيا والدين، فحازوا شرف الدارين، وحبوا بالعلم الناجع والأثرة العادلة، بينما هو فقيه بارع كما في [خواص العصر الفاطمي] وأديب شاعر مجيد كما طفحت به المعاجم، فإذا به ذلك الوزير العادل تزدهي القاهرة بحسن سيرته، وتعيش الأمة المصرية بلطف شاكلته، وتزدان الدولة الفاطمية بأخذه بالتدابير اللازمة في إقامة الدولة وسياسة الرعية ونشر الأمن وإدامة السلام، وكان كما قال الزركلي في [الأعلام] وزيرا عصاميا يعد من الملوك، ولقب بالملك الصالح، ولقد طابق هذا اللفظ معناه كما ينبئك عنه تاريخه المجيد، فلقد كان صالحا بعلمه الغزير وأدبه الرائق، صالحا بعدله الشامل وورعه الموصوف، صالحا بسياسته المرضية وحسن مداراته مع الرعية، صالحا بسببه الهامر ونداه الوافر، صالحا بكل فضايله وفواضله دينية ودنيوية، وقبل هذه كلها تفانيه في ولاء أئمة الدين عليهم السلام و نشر مآثرهم ودفاعه عنهم بفمه وقلمه ونظمه ونثره، وكان يجمع الفقهاء ويناظرهم في الإمامة والقدر، وكان في نصر التشيع كالسكة المحماة كما في (الخطط والشذرات).

وله كتاب [الاعتماد [2] في الرد على أهل العناد] يتضمن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والكلام على الأحاديث الواردة فيها، وديوانه مجلدان فيه كل فن من الشعر، وقد شرح سعيد بن مبارك النحوي الكبير المتوفى سنة 569 بيتا من شعر المترجم في عشرين كراسا، وكان الأدباء يرحلون إلى دسته كل ليلة ويدونون شعره، و العلماء يفدون إليه من كل فج فلا يخيب أمل آمل منهم، وكان يحمل إلى العلويين

(1) بكسر الهمزة وكسر الميم نسبة إلى أرمينية على غير قياس وهي اسم لصقع عظيم واسع.

(2) الاجتهاد: في شذرات الذهب.

في المشاهد المقدسة كل سنة أموالا جزيلة وللأشراف من أهل الحرمين ما يحتاجون إليه من كسوة وغيرها حتى ألواح الصبيان التي يكتب فيها والأقلام وأدوات الكتابة ووقف ناحية (المقس) [1] لأن يكون ثلثاها على الأشراف من بني الحسنين السبطين الإمامين عليهما السلام، وتسعة قراريط منها على أشراف المدينة النبوية المنورة، وجعل قراطا على مسجد أمين

[2]

الدولة، وأوقف بلقس بالقليوبية وبركة الحبش و جدد الجامع بالقرافة الكبرى، وبنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة و يسمى بجامع الصالح، ولم يترك غزو الأفرنج مدة حياته في البر والبحر، فكانت بعوثه إليهم تترى في كل سنة [3] ولم يزل له صدر الدست وذرى الفخر ونفوذ الأمر وعوش الملك حتى اختار الله تعالى له على ذلك كله الفوز بالشهادة وقتل غيلة في دهليز قصره سنة 556 يوم الاثنين 19 شهر الصيام ودفن في القاهرة بدار الوزارة ثم نقله ولده العادل إلى القرافة الكبرى.

كلمات حول المترجم

1 – قال ابن الأثير في الجزء الحادي عشر من تاريخه (الكامل) ص 103 : في هذه السنة (يعني سنة 556) في شعر رمضان قتل الملك الصالح وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله إنه تحكم في الدولة التحكم العظيم واستبد بالأمر والنهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد ولأنه هو الذي ولاه ووتر الناس فإنه أخرج كثيرا من أعيانهم وفرقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه، ثم أنه زوج ابنته من العاضد فعاداه أيضا الحرم من القصر فأرسلت عمة العاضد الأموال إلى الأمراء المصريين و دعتهم إلى قتله وكان أشدهم عليه في ذلك إنسان يقال له: ابن الداعي، فوقفوا له في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة إلا أنه حمل إلى داره وفيه حياة فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع أثره في خلافته فأقسم العاضد أنه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال: إن كنت بريئا فسلم

---

(1) بفتح الميم ثم السكون كان قبل الاسلام يسمى (أم دنين).

(2) قال الحموي: هي أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل مشرفة على نيل مصر خلف القرافة وقف على الأشراف.

(3) الخطط ج 4 ص 81 وص 324 ، تحفة الأحباب للسخاوي ص 176.

عمتك إلى حتى أنتقم منها فأمر بأخذها فأرسل إليها فأخذها قهرا واحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه، وللصالح أشعار حسنة بليغة تدل على فضل غزير فمنها في الافتخار:

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر * ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

علمنا بأن المال تفنى ألوفه * ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر

خلطنا الندى بالباس حتى كأننا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر

قرانا إذا رحنا إلى الحرب مرة * قرانا ومن أضيافنا الذئب والنسر

كما أننا في السلم نبذل جودنا * ويرتع في أنعامنا العبد والحر

وكان الصالح كريما فيه أدب وله شعر جيد وكان لأهل العلم عنده اتفاق، ويرسل إليهم العطاء الكثير، بلغه أن الشيخ أبا محمد بن الدهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو هذا:

تجنب سمعي ما يقول العواذل * وأصبح لي شغل من الغز وشاغل

فجهز إليه هدية سنية ليرسلها إليه فقتل قبل إرسالها، وبلغه أيضا أن إنسانا من أعيان الموصل قد أثنى عليه بمكة فأرسل إليه كتابا يشكره ومعه هدية، وكان الصالح إماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين، ولما ولى العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجة عظيمة فقال: ما الخبر؟ فقيل: إنهم يوحون فقال: كأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون: ما مات الأول حتى استخلف هذا. وما علموا أنني كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم قال عمارة [1] : دخلت على الصالح قبل قتله بثلاثة أيام فناولني قرطاسا فيه بيتان من شعر وهما:

نحن في غفلة ونوم وللموت * عيون يقظانة لا تنام

قد رحلنا إلى الحمام سنينا * ليت شعري متى تكون الحمام؟!

فكان آخر عهدي به. وقال عمارة أيضا: ومن عجيب الاتفاق إنني أنشدت ابنه قصيدة أقول فيها:

أبوك الذي تسطو الليالي بحده * وأنت يمين إن سطا وشمال

(1) أحد شعراء الغدير في القرن السادس يأتي شعره وترجمته في هذا الجزء.

لرتبته العظمى وإن طال عمره * إليك مصير واجب ومنال

تخالصك اللحظ المصون ودونها * حجاب شريف لا انقضى وحجال

فانتقل الأمر عليه بعد ثلاثة أيام.

2 – وقال ابن خلكان في تاريخه ج 1 ص 259 : دخل الصالح إلى القاهرة و تولى الوزارة في أيام الفائز، واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة، وكان فاضلا محبا لأهل الفضايل، سمحا في العطاء سهلا في اللقاء جيد الشعر ومن شعره:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه * عبرا وفينا الصد والاعراض

ننسى الممات وليس يجري ذكره * فينا فتذكرنا به الأمراض

ومنه أيضا:

ومهفهف ثمل القوام سرت إلى * أعطافه النشوات من عينيه

ماضي اللحاظ كأنما سلت يدي * سيفي غداة الروع من جفنيه

قد قلت إذ خط العذار بمسكه * في خده ألفيه لا لاميه

: ما الشعر دب بعارضيه وإنما * أصداغه نفضت على خديه

الناس طوع يدي وأمري نافذ * فيهم وقلبي الآن طوع يديه

فأعجب بسلطان يعم بعدله * ويجور سلطان الغرام عليه

والله لولا اسم الغرام وإنه * مستقبح لغررت منه إليه

وأنشد لنفسه بمصر:

مشيبك فقد نضا صبغ الشباب * وحل الباز في وكر الغراب

تنام ومقلة الحدثان يقظى * وما ناب النوائب عنك ناب

وكيف بقاء عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب؟!

وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حمص قد قصده من الموصل و مدحه بقصيدته الكافية التي أولها:

أما كفاك تلاقي في تلاقيكا * ولست تقم إلا فوط حبيكا

وفيم تغضب إن قال الوشاة سلا * وأنت تعلم أني لست أسلوكا؟!

لا نلت وصلك إن كان الذي زعموا * ولا شفى ظمأي جواد ابن رزيكا

وهي من نخب القصايد.

3 - قال المقريزي في (الخطط) ج 4 ص 81 - 73: زار الملك الصالح مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جماعة من الفقراء وإمام مشهد علي رضي الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم [1] فزار طلايع وأصحابه وباتوا هنالك فرأى السيد في منامه الإمام صلوات الله عليه يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له: طلايع بن رزيك من أكبر محبينا فقل له: إذهب فإنا قد وليناك مصر. فلما أصبح أمر من ينادي: من فيكم اسمه طلايع بن رزيك؟ فليقم إلى السيد ابن معصوم. فجاء طلايع إلى السيد وسلم عليه فقص عليه رؤياه، فرحل إلى مصر وأخذ أمره في الرقي، فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر إسماعيل استثارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيه شعورهن، فحشد طلايع الناس يريد النكبة بالوزير القاتل، فلما قرب من القاهرة فر الرجل ودخل طلايع المدينة بطمأنينة وسلام، فخلعت عليه خلايع الوزارة ولقب بالملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين، فنشر الأمن وأحسن السيرة. [ثم ذكر حديث قتله [2]] وقال: كان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لأهل الأدب جيد الشعر رجل وقته فضلا وعقلا وسياسة وتدبيرا، وكان مهابا في شكله، عظيما في سطوته، وجمع أموالا عظيمة، وكان محافظا على الصلوات فرايضها ونوافلها شديد المغالاة في التشيع صنف كتابا سماه [الاعتماد في الرد على أهل العناد] جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن فمنه في اعتقاده:

يا أمة سلكت ضلالا بينا * حتى اسوى إقرارها وجحودها

قلتم: ألا إن المعاصي لم تكن * إلا بتقدير الإله وجودها

لو صح ذا كان الإله زعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها

---

(1) قال السيد ابن شدقم في (تحفة الأزهار): كان أبو الحسن بن معصوم ابن أبي الطيب أحمد سيدا شريفا جليلا عظيم الشأن رفيع المنزلة كان في المشهد الغروي كبيرا عظيما ذا جاه وحشمة ورفعة وعز واحترام عليه سكينة ووقار. ا هـ. وهو جد الأسرة الكريمة النجفية المعروفة اليوم ببيت خرسان.

(2)راجع كتابنا شهداء الفضيلة ص 58.

حاشا وكلا أن يكون إلهنا * ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها [الجوهرية في الرد على القدرية]. ثم قال: ويروى أنه لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قال: هذه الليلة ضرب في مثلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأمر بقراءة مقتله واغتسل وصلى مائة وعشرين ركعة أحيى بها ليله وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته واضطرب لذلك وجلس في دهليز دار الوزارة فأحضر ابن الصيف وكان يلف عمايم الخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل ليصلح عمامته وعند ذلك قال له رجل: إن هذا الذي جرى يتطير منه فإن رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل. فقال: الطيرة من الشيطان وليس إلى التأخير سبيل. ثم ركب فكان من أمره ما كان.

وقال في ج 2 ص 284 : قال ابن عبد الظاهر: مشهد الإمام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلايع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان [1] لما خاف عليها من الفرنج وبني جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به و يفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلايع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي: أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشي إليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان ببده زمام القصر وقيل له: إنه يعرف الأموال التي بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشئ وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية، وقيل: إن هذه أشد العقوبات، وإن الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له:

هذا سر فيك ولا بد أن تعرفني به. فقال: والله ما سبب هذا إلا أني لما وصلت رأس الإمام الحسين حملتها. قال: وأي سر أعظم من هذا. وراجع في شأنه فعفا عنه. إنتهى.

4 – وقال الشواني في مختصر تذكرة القرطبي ص 121: قد ثبت أن طلايع

(1) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر يقال لها: عروس الشام.

ابن رزيك الذي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فتلقاها من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره، وهو في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسي من خشب الآبانوس، ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد، إلى أن قال في ص 122 : فزر يا أخي هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبي: إن دفن الرأس في مصر باطل صحيح في أيام القرطبي فإن الرأس إنما نقلها طلايع ابن رزيك بعد موت القرطبي:

قال الأميني: هذا التصحيح لقول القوطبي يكشف عن جهل الشواني بترجمة القوطبي وطلايع، وقد خفي عليه أن القوطبي توفي سنة 671 بعد وفاة طلايع الملك الصالح بمائة وخمس عشر سنة فإنه توفي سنة 556 ونطفة القوطبي لم تنعقد بعد.

ثم مشهدرأس الحسين الذي بناه طلايع احترق سنة 740 فأعيد بناؤه مرارا وأخيرا أقيم في جواره جامع حتى إذا كانت أيام الأمير عبد الرحمن كخيا أحد أمراء المماليك فأعيد بناء المشهد الحسيني في أواخر القرن الماضي للميلاد وبعد ذلك أعيد بناؤه مرتين في أيام الخديوي السابق، ولم يبق من البناء القديم إلا القبة المغطية لمقام الإمام فأصبح على ما نشاهده الآن وهو الجامع المعروف بجامع سيدنا الحسين [1].

ولادته ووفاته مدايحه ومراثيه

ولد الملك الصالح سنة خمس وتسعين وأربعمائة ومدحه الفقيه عمارة اليمني (الآتي ذكره) بقصايد توجد في كتابه (النكت العصرية) منها:

دعوا كل برق شمتم غير برق * يلوح على الفسطاط صادق بشره

وزوروا المقام الصالحي فكل من * على الأرض ينسى ذكره عند ذكره

ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى * فتجنوا على مجد المقام وفخره

ولكن سلوا منه العلى تظفروا بها * فكل أمرئ يجزى على قدر قدره

ومدحه في شعبان سنة 505 بقصيدة منها:

قصدتك من أرض الحطيم قصائدي * حادي سراها سنة وكتاب

(1) تاريخ مصر الحديث ج 1 ص 298.

إن تسألا عما لقيت فإنني * لا مخفق أملي ولا كذاب

لم أنتجع تمد النطاف ولم أقف * بمذانب وقفت بها الأذناب

وقال يمدحه:

أعندك أن وجدي واكتئابي * تراجع مذ رجعت إلى اجتنابي؟!

وإن الهجر أحدث لي سلوا * يسكن برده حر التهابي؟!

وإن الأربعين إذا تولت * بريعان الصبا قبح التصابي؟!

ولو لم ينهني شيب نهاني * صباح الشيب في ليل الشباب

وأيام لها في كل وقت * جنايات تجل عن العتاب

أقضيها وتحسب من حياتي * وقد أنفقتهن بلا حساب

وقد حالت بنو رزيك بيني * وبين الدهر بالمنن الرغاب

ومنها:

ولولا الصالح انتاش القواقي * لكان الفضل مجتنب الجناب

وكنت وقد تخوه رجائي * كمن هجر السواب إلى الشواب

ولم يخفق بحمد الله سعيي * إلى مصر ولا خاب انتخابي 10

ولكن زرت أبلج يقتضيه * نداه عملة الأمل الخواب

ومنها:

أقمت الناصر [1] المحيي فأحيى * رسوما كن كالوسم اليباب

وبث العدل في الدنيا فأضحى * قطيع الشاء يأنس بالذئاب

وأنت شهاب حق وهو منه * بمنزلة الضياء من الشهاب

سعى مسعاك في كرم وبأس * وشب على خلائقك العذاب 15

فأصبح معلم الطرفين لما * حوى شرف انتساب واكتساب

وصنت الملك من عزمات بدر * بميمون النقيبة والركاب

بأروع لم يزل في كل ثغر * زعيم القب مضروب القباب

مخوف البأس في حرب وسلم * وحد السيف يخشى في القراب

---

(1) هو الملك الناصر العادل بن الصالح بن رزيك -

وقال يمدحه بقصيدة أولها:

إذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعوج على سعي ولا طلب

واخطب بألسنة الأغماد ما عجزت * عن نيله ألسن الأشعار والخطب

ويقول فيها:

ألقى الكفيل أبو الغزات كلكه * على الزمان وضاعت حيلة النوب

وداخلت أنفس الأيام هيبته * حتى استوابت نفوس الشك والريب

بث الندى والردى زجرا وتكرمة * فكل قلب رهين الرعب في الرعب 5

فما لحامل سيف أو مثقفة * سوى التحمل بين الناس من إرب

لما تمرد بهرام وأسرته * جهلا وراموا قراع النبع بالغرب

صدعت بالناصر المحبي زجاجتهم * والزجاجة صدع غير منشعب

أسوى إليهم ولو أسوى إلى الفلك الأعلى لخافت قلوب الأنجم الشهب

في ليلة قدحت زرق النصال بها * نارا تشب بأطراف القنا الأشب

ظنوا الشجاعة تنجيهم فقارعهم * أبو شجاع قريع المجد والحسب

سقوا بأسكر سكوا لا انقضاء له * من قهوة الموت لا من قهوة العنب

ومنها:

لله عزمة محيي الدين كم تركت * بتربة الحي من خد امرئ ترب

سما إليهم سمو البدر تصحبه * كواكب من سحاب النقع في حجب

في فتية من بني رزيك تحسبهم * عن جانبيه رحى دارت على قطب

وقال يمدحه بقصيدة منها:

هل القلب إلا بضعة يتقلب؟ * له خاطر يرضى مرارا ويغضب

أم النفس إلا وهدة مطمئنة * تفيض شعاب الهم منها وتنضب؟!

فلا تلزمن الناس غير طباعهم * فتتعب من طول التعاب ويتعبوا

فإنك إن كشفتهم ربما انجلي * رمادهم من جمرة تتلهب

فتلركهم ما تلركوك فإنهم * إلى الشر مذ كانوا من الخير أقرب

ولا تغترر منهم بحسن بشاشة * فأكثر إيماض البوارق خلب

واصغ إلى ما قلته تنتفع به * ولا تطرح نصحي فأني مجرب

فما تنكر الأيام معرفتي بها * ولا إنني أروى بهن وأدرب

وإني لأقوام جذيل محكك * وإني لأقوام عذيق مرجب

عليم بما ترضى المروءة والتقى * خبير بما آتي وما أتجنب

حلبت أفاويق الزمان براحة * تدر بها أخلافه حين تحلب

وصاحبت هذا الدهر حتى لقد غدت * عجائبه من خبرتي تتعجب

ودوخت أقطار البلاد كأنني * إلى الريح أعزي أو إلى الخضر أنسب

وعاشرت أقواما يزيدون كثرة * على الألف أو عد الحصى حين يحسب

فماراقني في روضهم قط مرتع * ولا شاقني في وردهم قط مشرب

تراني وإياهم فريقين كلنا * بما عنده من غرة النفس معجب

فعندهم دنيا وعندي فضيلة * ولا شك إن الفضل أعلى وأغلب

على أن ما عندي يدوم بقاؤه * علي ويفني المال عنهم ويذهب

أناس مضى صدر من العمر عندهم * اصعد ظني فيهم وأصوب

رجوت بهم نيل الغني فوجدته * كما قيل في الأمثال: عنقاء مغرب

وكسل عزم المدح بعد نشاطه * ندى ذمه عندي من المدح أوجب

كأن القوافي حين تدعى لشكوهم * على الجمر تمشي أو على الشوك تسحب

أفوه بحق كلما رمت ذمهم * وما غير قول الحق لي قط مذهب

وأصدق إلا أن أريد مديحهم * فإني على حكم الضرورة أكذب

ولو علموا صدق المدائح فيهم * لكانت مساعيهم تهش وتطرب

ولكن دروا أن الذي جاء مادحا * بغير الذي فيهم يسب ويثلب

ومازال هذا الأمر دأبي ودأبهم * أغالب لومي فيهم وهو أغلب

إلى أن أذلتني الليالي وأعتبت * وما خلتها بعد الاساءة تعتب

فهاجرت نحو الصالح الملك هجرة * غدت سببا للأمن وهو المسبب

وقال يمدحه من قصيدة:

هي البدر من سنة البدر أملح * وغرتها من غرة الصبح أصبح

منعمة تسبي العقول بصورة * إلى مثلها لب الجوانح يجنح

كأن الظباء العفر يحكين جيدها * ومقلتها في حين ترنو وتسنح

كأن اهتزاز الغصن من فوق ردفها * هضيم بأعلى رملة يترنح

تعلمت من حبي لها غرة الهوى * وقد كنت فيه قبلها أتسمح

وهيج نار الوجد والشوق قولها * أحتى إلى الجوزاء طرفك يطمح؟!

فلا جفن إلا ملؤه ثم يسفح * ولا نار إلا زندها ثم يقدح

وما علمت أني إذا شفني الهوى * إليها بدعوى الصبر لا أتبجح

وإن اعتوافي بالتأخر حيث لا * يقدمني فضل أجل وأرجح

ألم تر فضل الصالح الملك لم يدع * على الأرض من يثني عليه ويمدح؟!

كأن مساعي جملة الخلق جملة * غدت بمساعيه الحميدة تشرح

تجمع فيه ما تفوق في الورى * على إنه أسنى وأسمى وأسمح

يرجى الندى منه فيغني ويسمح * ويخشى الردى منه فيعفو ويصفح

له كل يوم منة مستجدة * يضوع جميل الذكر منها وينفح

وقال يمدحه من قصيدة:

من كان لا يعشق الأجياد والحدقا * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدقا

في العشق معنى لطيف ليس يعرفه * من البرية إلا كل من عشقا

لا خفف الله عن قلبي صبابته * للغانيات ولا عن طرفي الأرقا

ويقول فيها:

لو كنت أملك روحي ولرتضيت بها * بذلتها لك لا زوراً ولا ملقا

وإنما الصالح الهادي تملكها * بفيض جود رعى آماله وسقى

واقتادها الحظ حتى جاورت ملكا * تمسي ملوك الليالي عنده سوقا

قال يمدحه وولده وأخاه فارس المسلمين:

أبيض مجودة؟! أم عيون * تسل وأجفانهن الجفون؟!

عجبت لها قضبا باتره

تصول بها المقل الفاتره

فتغدو لأرواحنا واتره

ظباء فتكن بأسد العرين * وغائرة خرجت من كمين

إذا ما هززن رماح القدود

حمين النفوس لذيذ الورود

حياض اللمى ورياض الخدود

فلا تطمعنك تلك الغصون * فإن كثيب نقاها مصون

وفيهن فتانة لم تزل

أوامر مقلتها تمتثل

ومن أجل سلطانها في المقل

تقول لها أعين الناظرين * إذا مارنت: ما الذي تأمرين؟!

منعمة ردفها مخصب

وما اهتز من خصرها مجذب

مقسمة كلها يعجب

فجسم جوى فيه ماء معين * وقلب غدا صخرة لا تلين

أما وعلى الصالح الأوحد

ردى المعتدي وندى المجتدي

وجعد العقوبة سمط اليد

ومن نصر العترة الطاهرين * ونعم النصير لهم والمعين

لقد شرفت مصر والقاهره

بأيام دولته القاهره

وأصبح للدولة الطاهره

بعزم ابن رزيك فتح مبين * وعزم ابنه ناصر الناصرين

إذا ما بدا الملك الناصر

بدت شيم ما لها حاصر

يطول بها الأمل القاصر

كريم السجية طلق الجبين * وى الله كلتا يديه يمين

فتى شأو همته لا ينال

فماذا عسى في علاه يقال؟!

وقد حاز أنهى صفات الكمال

وخوله الله دنيا ودين * وأصخى له كل خلق يدين

فلازال ظل أبيه مديد

مدى الدهر في دولة لا تميد

وبلغ في نفسه ما يريد

وإخوته السادة الأكرمين * وفي عمهم فارس المسلمين

وقال يمدح الصالح ويرثي أهل البيت عليهم السلام.

شأن الغرام أجل أن يلحاني * فيه وإن كنت الشفيق الحاني

أنا ذلك الصب الذي قطعت به * صلة الغرام مطامع السلوان

ملئت زجاجة صبره بضميره * فبدت خفية شأنه للشاني

غدرت بموثقها الدموع فغادرت * سري أسوا في يد الاعلان

5 عنفت أجفاني فقام بعذرها * وجد يبيح ودائع الأجفان

ومنها:

يا صاحبي وفي مجانبة الهوى * رأي الرشاد فما الذي تريان؟!

بي ما يذود عن التسبب أوله * ويزيل أيسره جنون جناني

قبضت على كف الصبابة سلوة * تنهى النهى عن طاعة العصيان

أمسي وقلبي بين صبر خاذل * وتجلد قاص وهم دان

10 قد سهلت حزن الكلام لنادب * آل الرسول نواعب الأحزان

فابذل مشايعة اللسان ونصره * إن فات نصر مهند وسنان

واجعل حديث بني الوصي وظلمهم * تشبيب شكوى الدهر والخذلان

غصبت أمية إرث آل محمد * سفها وشنت غارة الشنآن

وغدت تخالف في الخلافة أهلها * وتقابل الوهان بالبهتان

لم تقتنع أحلامها بركوبها * ظهر النفاق وغلب العدوان
وقعودهم في رتبة نبوية * لم يبنها لهم أبو سفيان
حتى أضافوا بعد ذلك أنهم * أخذوا بثار الكفر في الإيمان
فأتى زياد في القبيح زيادة * تركت يزيد يزيد في النقصان
حرب بنو حرب أقاموا سوقها * وتشبهت بهم بنو مروان
لهفي على النفر الذين أكفهم * غيث الورى ومعونة اللهفان
أشلاؤهم مزق بكل ثنية * وجسومهم صرعى بكل مكان
مالت عليهم بالتمالئ أمة * باعت جزيل الربح بالخسران
دفعوا عن الحق الذي شهدت لهم * بالنص فيه شواهد القرآن
ما كان أولاهم به لو أبدوا * بالصالح المختار من غسان
أنساهم المختار صدق ولائه * كم أول أربى عليه الثاني

وقضى شاعرنا الملك الصالح شهيدا يوم الاثنين تاسع عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة ورثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة أولها:

أفي أهل ذا النادي عليم أسائله؟! * فإني لما بي ذاهب اللب ذاهله
سمعت حديثا أحسد الصم عنده * ويذهل واعيه ويخرس قائله
فهل من جواب يستغيث به المنى * ويعلو على حق المصيبة باطله؟!؟!
وقد رابني من شاهد الحال إنني * أرى الدست منصوبا وما فيه كافله
فهل غاب عنه واستناب سليله؟! * أم اختار هجرا لا يرجى تواصله؟!
فإني أرى فوق الوجوه كآبة * تدل على أن الوجوه ثواكله

ويقول فيها:

دعوني فما هذا أوان بكائه * سيأتيكم طل البكاء ووابله
ولا تنكروا حزني عليه فإنني * تقشع عني وابل كنت آمله
ولم لا نبكيه وننتدب فقده * وأولادنا أيتامه وأرامله؟!
فياليب شعري بعد حسن فعاله * وقد غاب عنا ما بنا الله فاعله
أيكرم مثوى ضيفكم وغريبكم * فيمكث أم تطوى ببين مراحله؟!

ومنها:

فيا أيها الدست الذي غاب صدره * فماجت بلاياه وهاجت بلابله

عهدت بك الطود الذي كان مفزعا * إذا تولت بالملك يوما نوازله

فمن زلزل الطود الذي ساخ في الثرى * وفي كل أرض خوفه وزلازله؟!

ومن سد باب الملك والأمر خارج * إلى سائر الأقطار منه وداخله؟!

ومن عوق الغازي المجاهد بعدما * أعدت لغزو المشركين جحافله؟!

ومن أكره الرمح الوديني فالتوى * وأرهقه حتى تحطم عامله؟!

من كسر العضب المهند فاغتدى * وأجفانه مطروحة تحطم حمائله؟!

ومن سلب الاسلام حلية جيده * إلى أن تشكى وحشة الطرق عاطله؟!

ومن أسكت الفضل الذي كان فضله * خطيبا إذا التفت عليه محافله؟!

وما هذه الصوضاء من بعد هيبة * إذا خامرت جسما تخلت مفاصله؟!

كأن أبا الغارات لم يشن غارة * يريك سواد الليل فيها قساطله

ولا لمعت بين العجاج نصوله * ولا طرزت ثوب الفجاج مناصله

ولا صلفي عالي ركابيه موكب * ينافس فيه فارس الخيل راجله

ولا سرحت فوق الدروع يراعه * كما سرحت تحت السروج صواهله

ولا قسمت ألحاظه بين مخلص * جميل السجايا أو عدو يجامله

ولا قابل المحراب والحرب عاملا * من البأس والاحسان ما الله قابله

تعجبت من فعل الزمان بنفسه * ولا شك إلا أنه جن عاقله

بمن تفخر الأيام بعد طلائع * ولم يك في أبنائها من يماثله؟!

أتتزل بالهادي الكفيل صروفها * وقد خيمت فوق السماك منازله؟!

وتسعى المنايا منه في مهجة امرئ * سعت همم؟ الأقدار فيما تحاوله

ورثاه بقصيدة أخرى منها:

تنكد بعد الصالح الدهر فاغتدت * مجالس أيامي وهن غيوب

أيجدب خدي من ربيع مدامعي * وربعي من نعمي يديه خصيب؟!

وهل عنده أن الدخيل من الجوى * مقيم بقلبي ما أقام عسيب؟!

وإن برقت سني لذكر حكاية * فإن فؤادي ما حييت كئيب

ورثاه بقصيدة أولها:

طمع المرء في الحياة غرور * وطويل الآمال فيها قصير

ولكم قدر الفتى فأتته * نوب لم يحط بها التقدير

منها:

فض ختم الحياة عنك حمام * لا يراعي إذناولا يستشير

ما تخطى إلى جلالك إلا * قدر أمره علينا قدير

بذرت عمرك الليالي سفاها * فسيعلمن ما جنى التبذير

وقال:

ليت يوم الاثنين لم يتبسم * عن محياه لليالي ثغور

طلعت شمسه بيوم عبوس * حير الطير شوه المستطير

وتجلى صباحه عن جبين * إثمد الليل فوقه مذرور

صبح المجد في صبيحة ذاك اليوم غراء صيلم عنقفير (1)

بلغ الدهر عندها ما تمنى * وعليها كان الزمان يدور

حادث ظلت الحوادث ما * شاهدته من جوره تستجير

ترجف الأرض حين يذكر عنه * وتكاد السماء منه تمور

طبق الأرض من مصاب أبي الغزات * خطب له النجوم تغور

ومنها:

لك رضوان زائر ولقوم * هلكوا فيه منكر ونكير

حفظت عهدك الخلافة حفظا * أنت منها به خليق جدير

أحسنت بعدك الصنيعة فينا * فاستوت منك غيبة وحضور

وأبى الله أن يتم عليها * ما نوى حاسد لها أو كفور

ضيقوا حفرة المكيدة لكن * ضاق بالناكثين ذاك الحفير

(1) صبح القوم صبحا: أتاهم صباحا. صيلم: الأمر الشديد. يقال: وقعد صيلمة أي مستأصلة عنقفير أحسبه مصحف (خنشفير) أي الداهية.

وتجروا على القصور بغدر * وسواج الوفاء فيها ينير

حرم آمن وشهر حرام * هتكت منهما حوى وستور

لا صيام نهاهم لا إمام * طاهر ثوب أخمصيه طهور

أخفروا ذمة الهدى بعد علم * ويقين أن الإمام خفير

وإذا ما وفت خدور الهوادي * بذمام فما تقول القصور؟!

غضب العاضد الإمام فكادت * فرقا منه أن تذوب الصخور

أدرك الثأر من عداه بعزم * لم يكن في النشاط منه فتور

واستقامت بنصره وهداه * حجة الله واستمر المرير

دفن الملك الصالح بالقاهرة ثم نقل ولده العادل سنة سبع وخمسين وخمسمائة في تاسع صفر تابوت أبيه من القاهرة إلى مشهد بني له في القرافة[1] في وزارته وحفر سردابا يوصل فيه من دار الوزارة إلى دار سعيد السعداء وعمل فيه الفقيه عمارة اليمني قصائد منها:

خربت ربوع المكرمات لراحل * عمرت به الأجداث وهي قفار

نعش الجدود العاثرات مشيع * عميت برؤية نعشه الأبصار

نعش تود بنات نعش لو غدت * ونظامها أسفا عليه نثار

شخص الأنام إليه تحت جنازة * خفضت برفعة قدرها الأقدار

ومنها:

وكأنها تابوت موسى أودعت * في جانبيه سكينة ووقار

أوطنته دار الوزارة ريثما * بنيت لنقلته الكريمة دار

وتغاير الهرمان والحرمان في * تابوته وعلى الكريم يغار

آثرت مصر منه بالشرف الذي * حسدت قرافتها له الأمصار

غضب الإله على رجال أقدموا * جهلا عليه وآخرين أشاروا

لا تعجبن لقدار ناقة صالح * فلكل عصر صالح وقدار

أحللت دار كرامة لا تنقضي * أبدا وحل بقاتليك بوار

(1) جبانة في مصر والكلام فيها طويل بسط القول فيها المقريزي في الخطط ج 4 ص 317.

وقع القصاص بهم وليسوا مقنعا * برضى وأين من السماء غبار؟!

ضاقت بهم سعة الفجاج وربما * نام الولي ولا ينام الثار

فتهن بالأجر الجزيل وميتة * درجت عليها قبلك الأخيار

مات الوصي بها وحمزة عمه * وابن البتول وجعفر الطيار

وقال في يوم الخميس وقد نقل الصالح إلى تربته بالقرافة:

يا مطلق العبرات وهي غزار * ومقيد الزفرات وهي حرار

ما بال دمعك وهو ماء سافح * يذكى به من حد وجدك نار؟!

لا تتخذني قدوة لك في الأسى * فلدي منه مشاعر وشعار

خفض عليك فإن زند بليتي * وار وفي صدري صدى وأوار

إن كان في يدك الخيار؟ فإنني * ولهان لم أترك وما أختار

في كل يوم لي حنين مضلة * يؤدى لها بعد الحوار حوار

عاهدت دمعي أن يقر فخانني * قلب لسائله الهموم قرار

هل عند محتقر يسير بلية * إن الصغار من الهموم كبار؟!

ومنها:

حتى إذا شيدتها ونصبتها * علما يحج فنلؤه وزوار

ومنها:

أكفيل آل محمد ووليهم * في حيث عوف وليهم إنكار

ومنها:

ولقد وفى لك من صنائعك امرؤ * بثنائه تستسمع السمار

أوفى أبو حسن بعهدك عندما * خذلت يمين أختها ويسار

غابت حماتك واثقين ولم تغب * فكأنهم بحضوره حضار

ومنها:

ملك جناية سيفه وسنانه * في كل جبار عصاه جبار

جمعت له فوق القلوب على الرضى * والسيف جامعهن والدينار

وهما اللذان إذا أقاما دولة * دانت وكان لأمرها استمرار

وإذا هما افترقا ولم يتناصروا * عز العدو وذلت الأنصار

يا خير من نقضت له عقد الحبى * وغدا إليه النقض والإمرار

ومضت أوامره المطاعة حسب ما * يقضى به الايراد والاصدار

إن الكفالة والوزارة لم تزل * يومى إليك بفضلها ويشار

كانت مسافة إليك وتعبد الأخطار * ما لم تركب الأخطار

حتى إذا نزلت عليك وشاهدت * ملكا لزند الملك منه أوار

ألقت عصاها في ذراك وعويت * عنها السروج وحطت الأوكار

لله سيرتك التي أطلقتها * وقيودها التأريخ والأشعار

25 جلت فصلى خاطري في مدحها * وكبت ورائي قرح ومهار

والخيل لا يرضيك منها مخبر * إلا إذا ما زرها المضمار

ومدائحي ما قد علمت وطالما * سبقت ولم يبلل لهن عذار

إن أخرتني عن جنابك محنة * بأقل منها تبسط الأعذار

فلدي من حسن الولاء عقيدة * يرضيك منها الجهر والأسوار

وقال يرثيه ويمدح ولده الملك الناصر العادل بن الصالح أنشدها في مشهده بالقوافة في شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة:

أرى كل جمع بالردى يتفوق * وكل جديد بالبلي يتمزق

وما هذه الاعمار إلا صحائف * تؤرخ وقتا ثم تمحى وتمحق

ومنها:

ولما تقضى الحول إلا لياليا * تضاف إلى الماضي قريبا وتلحق

وعجنا بصحراء القوافة والأسى * يغرب في أكبادنا ويشرق

5 عقدنا على رب القوافي عقائلا * تغر إذا هانت جياد وأينق

وقلنا له: خذ بعض ما كنت منعما * به وقضاء الحق بالحر أليق

عقود قوافٍ من قوافيك تنتقي * ودر معان من معانيك يسرق

نثرنا على حصباء قبرك درها – صحيحا ودر الدمع في الخد يفلق

ويقول فيها:

وجدناكم يا آل رزيك خير من * تنص إليه اليعملات وتعنق

10 وفدنا إليكم نطلب الجاه والغنى * فأكرم ذو مثوى وأغنى مملق

وعلمتمونا عزة النفس بالندى * وملقى وجوه لم يشنها التملق

وصيرتم الفسطاط بالجود كعبة * يطوف بركنيها العراق وجلق (1)

فلا ستركم عن مرتج قط مرتج * ولا بابكم عن معلق الحظ مغلق

وليس لقلب في سواكم علاقة * ولا ليد إلا بكم متعلق

نماذج من شعر الملك الصالح

ذكر ابن شهر آشوب كثيرا من شعره في كتابه [مناقب آل أبي طالب] منه قوله:

محمد خاتم الرسل الذي سبقت * به بشارة قس وابن ذي يزن

وأنذر النطقاء الصادقون بما * يكون من أمره والطهر لم يكن

الكامل الوصف في حلم وفي كرم * والطاهر الأصل من ذم ومن درن

ظل الإله ومفتاح النجاة وينوع الحياة وغيث العارض الهتن

فاجعله ذخرك في الدارين معتصما * به وبالمرتضى الهادي أبي الحسن

وله:

ولايتي لأمير المؤمنين علي * بها بلغت الذي أرجوه من أملي

إن كان قد أنكر الحساد رتبته * في جوده فتمسك يا أخي بهل (2)

وله:

كأني إذ جعلت إليك قصدي * قصدت الركن بالبيت الحرام

وخيل لي بأني في مقامي * لديه بين زمزم والمقام

أيا مولاي ذكرك في قعودي * ويا مولاي ذكرك في قيامي

وأنت إذا انتبهت سمير فكري * كذلك أنت أنسي في مقامي

وحبك إن يكن قد حل قلبي * ففي لحمي استكن وفي عظامي

---

(1) جلق بكسرتين وتشديد اللام: اسم لكورة الغوطة كلها وقيل. بل هي دمشق نفسها

(2) أشار إلى سورة هل أتى ونزولها في العترة الطاهرة عليهم السلام.

فلولا أنت لم تقبل صلاتي * ولولا أنت لم يقبل صيامي

عسى أسقى بكأسك يوم حشري * ويبرد حين أشربها أوام

وله:

يا عروة الدين المتين * وبحر علم العارفينا

يا قبلة للأولياء * وكعبة للطايفينا

من أهل بيت لم نزالوا * في البرية محسنينا

التائبين العابدين * الصائمين القائمينا

العالمين الحافظين * الراكعين الساجدينا

يا من إذا نام الورى * باتوا قياما ساهرينا

وله:

قوم علومهم عن جدهم أخذت * عن جبرئيل وجبريل عن الله

هم السفينة ما كنا لنطمع أن * ننجو من الهول يوم الحشر لولا هي

الخاشعون إذا جن الظلام فما * تغشاهم سنة تنفي بأنباه

ولا بدت ليلة إلا وقابلها * من التهجد منهم كل أواه

وليس يشغلهم عن ذكر ربهم * تغريد شادولا ساق ولا طاهي

سحايب لم تزل بالعلم هامية * أجل من سحب تهمي بأمواه

وله:

إن النبي محمدا ووصيه * وابنيه وابنته البتول الطاهره

أهل العباء فإنني ولائهم * أرجو السلامة والنجا في الآخره

وأرى محبة من يقول بفضلهم * سببا يجير من السبيل الحائره

أرجو بذاك رضا المهيمن وحده * يوم الوقوف على ظهور الساحره

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام.

هو النور نور الله والنور مشرق * علينا ونور الله ليس يزول

سما بين أملاك السموات ذكره * نبيه فما أن يعتريه خمول

وله:

لا تعذلني إنني لا أقتفي * سبل الضلال لقول كل عذول

عند التباهل ما علمنا سادسا * تحت الكسا منهم سوى جبريل

وله في أمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرين عليهم السلام:

بحب علي ارتقي منكب العلى * وأسحب ذيلي فوق هام السحائب

إمامي الذي لما تلفظت باسمه * غلبت به من كان بالكثر غالبي

أئمة حق لو يسرون في الدجى * بلا قمر لاستصحبوا بالمناسب

بهم تبلغ الآمال من كل آمل * بهم تقبل التوبات من كل تائب

وله في زهد أمير المؤمنين عليه السلام:

ذاك الذي طلق الدنيا لعمري عن * زهد وقد سفرت عن وجهها الحسن

وأوضح المشكلات الخافيات وقد * دقت عن الفكر واعتاصت على الفطن

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم:

آل رسول الإله قوم * مقدارهم في العلى خطير

إذ جاءهم سائل يتيم * وجاء من بعده أسير

أخافهم في المعاد يوم * معظم الهول قمطرير

فقد وقوا شر ما اتقوه * وصار عقباهم السرور

في جنة لا يرون فيها * شمسا ولا ثم زمهرير

يطوف ولدانهم عليهم * كأنهم لؤلؤ نثير

لباسهم في جنان عدن * سندسها الأخضر الحرير

جزاهم ربهم بهذا * وهو لما قد سعوا شكور

وله في المعنى [1]:

إن الأوار يشوبون بكأس * كان حقا مزاجها كافورا

ولهم أنشأ المهيمن عينا * فجروها عباده تفجيرا

وهداهم وقال: يوفون بالنذر * فمن مثلهم يوفي النذورا؟!

ويخافون بعد ذلك يوما * هائلا كان شره مستطيرا

(1) مر حديث هذا المعنى في الجزء الثالث من كتابنا ص 106 - 111، 169، 243

يطعمون الطعام ذا اليتم * والمسكين في حب ربهم والأسيرا

إنما نطعم الطعام لوجه الله * لا نبتغي لديكم شكورا

غير أنا نخاف من ربنا يوما * عبوسا عصبصبا قمطريرا

فوقاهم إلههم ذلك اليوم * يلقون نضرة وسرورا

وجزاهم بأنهم صبروا * في السر والجهر جنة وحريرا

متكئين لا يرون لدى الجنة * شمسا كلا ولا زمهريرا

وعليهم ظلالها دانيات * ذللت في قطوفها تيسيرا

وبأكواب فضة وقوارير * قوارير قدرت تقديرا

ويطوف الولدان فيها عليهم * فيخالون لؤلؤا منثورا

بكؤس قد مزجت زنجبيلا * لذة الشاربين تشفي الصدورا

ويحلون بالأساور فيها * وسقاهم ربي شرابا طهورا

وعليهم فيها ثياب من السندس * خضر في الخلد تلمع نورا

إن هذا لكم جزاء من الله * وقد كان سعيكم مشكورا

وله في المعنى أيضا:

والله أثنى عليهم * لما وفوا بالنذور

وخصهم وحباهم * بجنة وحرير

لا يعرفون بشمس * فيها ولا زمهرير

يسقون كأسا رحيقا * مزيجة الكافور

وله في المعنى أيضا:

في هل أتى إن كنت تقرأ هل أتى * ستصيب سعيهم بها مشكورا

إذ أطعموا المسكين ثمة أطعموا * الطفل اليتيم وأطعموا المأسورا

قالوا: لوجه الله نطعمكم فلا * منكم جزاء نبتغي وشكورا

إنا نخاف ونتقي من ربنا * يوما عبوسا لم يزل مجذورا

فوقوا بذلك شر يوم باسل * ولقوا بذلك نضرة وسرورا

وجزاهم رب العباد بصبرهم * يوم القيامة جنة وحريرا

وسقاهم من سلسبيل كأسها * بمزاجها قد فجرت تفجيرا

يسقون فيها من رحيق تختم * بالمسك كان مزاجها كافورا

فيها قوارير وأكواب لها * من فضة قد قدرت تقديرا

يسعى بها ولدانها فتخالهم * للحسن منهم لؤلؤا منثورا

وله في المعنى المذكور:

هل أتى فيهم تنزل فيها * فضلهم محكما وفي السورات

يطعمون الطعام خوفا فقيرا * ويتيما وعانيا في العنات

إنما نطعم الطعام لوجه * الله لا للجزاء في العاجلات

فجزاهم بصبرهم جنة الخلد * بها من كواعب خيرات

ومن شعر الملك الصالح قصيدته التي جرى بها قصيدة دعبل الخزاعي الشهيرة التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات

وأول قصيدة الملك قوله:

ألايم دع لومي على صبواتي * فما فات يمحوه الذي هو آت

وما جزعي من سيئات تقدمت * ذهابا إذا اتبعتها حسنات

ألا إنني أقلعت عن كل شبهة * وجانبت غرقي أبحر الشبهات

شغلت عن الدنيا بحبي معشرا * بهم يصفح الرحمن عن هفواتي

وقال في آخرها:

أعارض من قول الخواعي دعبلا * وإن كنت قد أقللت في مدحاتي

[مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات] (1)

وفي (أنوار الربيع) ص 312 : ومن الاستثناء الذي ما خرج حجاب السمع ألطف منه قول الصالح طلايع، وقد ألزم الأمير ابن سنان بمال رفع عليه لكونه كان يتولى أموالا له واعتقله فأرسل إليه يمت بقديم الخدمة والتشيع الموافق لمذهبه فقال الصالح:

(1) أنوار الربيع ص 312. الرائق ذكر من القصيدة 40 بيتا.

أتى ابن سنان ببهتانه * يحصن بالدين ما في يديه

برئت من الرفض إلا له * وتبت من النصب إلا عليه

وكان قدر المال ستين ألف دينار فأخذ منه اثنى عشر ألفا وترك له الباقي.

كتب الملك الصالح إلى صاحب الروم قلج أرسلان بن مسعود في تنافس وقع بينه وبين نور الدين محمود بن زنكي:

نقول ولكن: أين من يتفهم * ويعلم وجه الرأي والرأي مبهم؟!

وما كل من قاس الأمور وساسها * يوفق للأمر الذي هو أحزم

وما أحد في الملك يبقى مخلدا * وما أحد مما قضى الله يسلم

أمن بعد ما ذاق العدى طعم حربكم * بفيهم وكانت وهي صاب وعلقم

رجعتم إلى حكم التنافس بينكم * وفيكم من الشحناء نار تضرم؟!

أما عندكم من يتقي الله وحده؟! * أما في رعاياكم من الناس مسلم؟!

تعالوا لعل الله ينصر دينكم * إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم

وننهض نحو الكافرين بعزمة * بأمثالها تحوى البلاد وتقسم

ويأتي من شعر المترجم في ترجمة الفقيه عمارة اليمني، ووقفت من شعر الملك الصالح على شطر مهم في أهل البيت عليهم السلام مدحا ورثاءا يربو على ألف و أربعمائة بيتا. وقد جمعها سيدنا العلامة السيد أحمد العطار في كتابه (الرائق) و لعل ما فاته من شعره في أهل البيت عليهم السلام نزر يسير.

توجد ترجمة طلايع الملك الصالح في كثير من الكتب والمعاجم منها:

وفيات الأعيان 1 ص 259 . الكامل لابن الأثير 11 ص 103 . الخطط للمقريزي 4 ص 81 تاريخ ابن كثير 12 ص 243 . روض المناظر لابن شحنة. تاريخ أبي الفدا 3 ص 40 . مرآة الجنان 3 ص 310 . أنوار الربيع ص 312. تحفة الأحباب للسخاوي 176 شذرات الذهب 4 ص 177 . نسمة السحر الجزء الثاني. خواص العصر الفاطمي 234 دائرة المعارف لفريد وجدي 5 ص 771 . الأعلام للزركلي 2 ص 449 . تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان 1 ص 298. شهداء الفضيلة ص 57.

الملك العادل

خلف الصالح ولده رزيك بن طلايع الملقب بالملك الناصر والعادل، ولي الوزارة بعد والده الصالح ستة عشر شهرا وعدة أيام وكان والده قد أوصاه بأن لا يتعرض شاور ولا يغير عليه حاله فإنه لا يأمن عصيانه والخروج عليه وكان كما أشار فإن العادل حسن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه إن أقره على عمله فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار بهم إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة 558 وهرب العادل بن الصالح وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرم فأخذ وقتل وأخذ موضعه من الوزارة واستولى شاور على ديار مصر، ودفن العادل في تربة الملك الصالح وبها جماعة أخرى.

ترجمه الفقيه عمارة في كتابه [النكت العصرية] ص 53 وقال في ص 66 : دخلت قاعة السر من دار الوزارة فيها طي بن شاور وضرغام وجماعة من الأمراء مثل عز الزمان، وموتفع الظهير، ورأس رزيك بن الصالح بين أيديهم في طست فما هو إلا أن لمحته عيني ورددت كمي على وجهي ورجعت على عقبي، وما ملأت عيني من صورة الرأس وما من هؤلاء الجماعة الذين كان الرأس بين أيديهم إلا من مات قتيلا وقطعت رأسه عن جسده فأمر طي من ردني فقلت: والله ما أدخل حتى تغيب الرأس عن عيني. فرفع الدست وقال لي ضرغام: لم رجعت؟ قلت: بالأمس وهو سلطان الوقت الذي نتقلب في نعمته. قال: لو ظفر رزيك بأمير الجيوش أو بنا ما أبقى علينا. قلت: لا خير في شئ يؤول الأمر بصاحبه من الدست إلى الطست ثم خرجت وقلت:

أعز علي أبا شجاع أن أرى * ذاك الجبين مضرجا بدمائه

ما قلبته سوى رجال قلبوا * أيديهم من قبل في نعمائه

وللفقيه عمارة اليمني شعر كثير يمدح به الملك العادل رزيك بن طلايع ذكره في كتابه [النكت العصرية] وفي ديوانه، منه قصيدة أولها:

جاور بمجدك أنجم الجوزاء * وازدد علوا فوق كل علاء

وقصيدة أخرى مستهلها:

وثالثة مطلعها:

دانت لأمرك طاعة الأقدار * وتواضعت لك غرة الأقدار

ورابعة أولها:

في مثل مدحك شرح القول مختصر * وفي طوال القوافي عنده قصر

وخامسة مبدؤها:

لما أراد مدامة الأحداق * دبت حميا نشوة الأخلاق

وسادسة مطلعها:

لكل مقام في علاك مقال * يصدقه بالجود منك فعال

وسابعة أولها:

فقت الملوك مهابة وجلالا * وطرائقا وخلائقا وخلالا

وثامنة مطلعها:

لك أن تقول إذا أردت وتفعلا * ولمن سعى في ذا المدى أن يخجلا

وتاسعة أولها:

لله من يوم أغر محجل * في ظل محترم الفناء مبجل

وعاشرة مستهلها:

لولا جفون ومقل * مكحولة من الكحل
ولحظات لم تزل * أرمى نبالا من ثعل
ويرد رضا به * ألذ من طعم العسل
يظمأ إلى برده * من عل منه ونهل
لما وصلت قاطعا * إذا رأى جدي هزل 5
مخالف لو أنه * أضمر هجري لوصل
وأغيد منعم * يميل كلما اعتدل
يهتز غصن قده * لينا إذا ارتج الكفل
غر إذا جمشته * أطرق من فوط الخجل
ريعن مدلل * غزيل يأبى العزل 10

سألته في قبلة * من ثغوه فما فعل

راضته لي مشمولة * ترمي النشاط بالكسل

حتى أتاني صاغوا * يحدوه سكر وثمل

أمسى بغير شكوه * ذاك المصون يبتذل

وبات بين عقده * وبين قوطيه جدل 15

وكدت أمحو لعسا * في شفتيه بالقبل

فديته من مبسم * ألثمه فلا أمل

كأنه أنامل * لمجد الاسلام الأجل

معروفهن أبدا * يضحك في وجه الأمل

وقال يمدحه من قصيدة أولها:

أيا أذن الأيام إن قلت فاسمعي * لنفثة مصدور وأنة موجع

وعي كل صوت تسمعين نداءه * فلا خير في أذن ينادى فلا تعي

ويقول فيها:

ملوك رعوا لي حرمة صار نبتها * هشيمارعته النائبات ومارعي

وردت بهم شمس العطايا لوفدهم * كما قال قوم في علي وتوسع

قال الأميني: كذا يوجد البيت الأخير في مختار ديوانه المطوع في ألمانيا ص 288 وهو تصحيف غريب مع التشكيل لحروفه والصحيح:

كما قال قوم في علي ويوشع

وهذا ينم عن ضئولة أمر المتطفلين على موائد العربية وذهولهم عن معنى البيت الذي لا يستقيم إلا على ما ذكرناه وقد أوعز الشاعر إلى حديث رد الشمس لمولانا علي أمير المؤمنين ويوشع عليهما السلام من قبله، هذا أحسن الاحتمالين دعانا إليه حسن ظننا بالقوم وإن كان بعيدا جدا، والأقرب ما لا يفوتك عرفانه، والله أعلم.